

الطب في عصر المماليك (648 - 911 هـ / 1250 - 1445 م)

قسم التاريخ - كلية العلوم الإنسانية - جامعة الملك خالد
المملكة العربية السعودية

د. منيرة محمد عبد الله

قسم التاريخ - جامعة أم درمان الإسلامية

د. مجاهد محمد سعيد

مستخلص:

يهدف البحث إلى توضيح أوجه الحياة العلمية لدولة المماليك في مجال الطب، وذلك من خلال مناقشة الطب وعلومه وأهم أطباء المماليك، والبيمارستان (المستشفيات)، وأهم الأمراض وطرق العلاج، تنبع أهمية البحث من كونه يسلط الضوء على واحد من أهم الموضوعات في فترة الدولة المملوكية، انتهج البحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول إلى نتائج والتي من أهمها تطور الطب في العصر المملوكي، تطور نظام البيمارستان بصورة واضحة خلال هذه الفترة رغم تعدد وتنوع الأمراض في تلك الفترة.

Abstract:

The research aims to clarify aspects of the scientific life of the Mamluk state in the field of medicine, by discussing medicine and its sciences, the most important doctors of the Mamluks, and the Bimaristans (hospitals), the most important diseases and methods of treatment. The historical, descriptive, and analytical method in order to reach results, which are among the most important of the development of medicine in the Mamluk era, the development of the bimaristan system clearly during this period despite the multiplicity and diversity of diseases in that period.

مقدمة:

الحمد لله فاطر السموات الأرض، القائل: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) يونس/75 والقائل (وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا {الإسراء/28}).

تعد مهنة الطب من أجل المهن وأشرفها، لارتباطها بالإنسان، ولأنها تقوم على خفيف الـآم المتألمين وتعمل على علاج النفس والبدن، وقد عرف الإنسان الطب منذ أن عرف الألم، واعتلال الصحة، فأخذ يحتال بكل الوسائل المتاحة للعلاج، فظل في حالة ممارسة وتجريب للوصول إلى أنجع السبل لبلوغ العافية. وقد توصل الإنسان منذ فجر التاريخ من خلال عمله بالزراعة والرعي إلى وسائل بدائية في تجبير العظام المكسورة والمخلوعة له ولأنعامه، كما تعلم بالملاحظة والتجريب استخدام الأعشاب في شفاء بعض الأمراض، كما استخدم السحر للتصدي لغضب الشياطين ولعنات الآلهة حسب اعتقاده. وقد أصبحت كلمة الطب مرادفة لكلمة السحر في اللغة العربية و(المطبوب) هو المسحور، والطاب هو الساحر الذي قد يستخدم طبه في العلاج، حتى توصل الناس إلى التمييز بين الطبيب والساحر بعد الدراسة والتخصص. يقول بن خلدون: (صناعة الطب تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح)⁽¹⁾.

وبالنسبة للمسلمين فقد بدأ الإهتمام بالطب منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدون، ثم بدأ الإهتمام يتعاظم في العصرين الأموي والعباسي الذي شهد ظهور الدويلات المستقلة، ومن أهمها دولة المماليك، التي شهدت اهتماماً كبيراً بالطب خاصة من حكامها مما أدى إلى ازدهاره وتطوره الأمر الذي جعل الباحث يختاره موضوعاً للدراسة. وسوف ينصب التركيز في الدراسة على المحاور التالية:- مصطلحات العنوان، والمؤسسات العلاجية، والتكوين العلمي والمهني والطبي للأطباء، وطرق العلاج، والأمراض الأكثر شيوعاً، والتعريف بأبرز الأطباء، وملاحظات عامة واستنتاجات.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على تاريخ الطب في حقبة مهمة من التاريخ والحضارة الإسلامية في دولة المماليك، وترجع أهمية الموضوع إلى أنه دراسة في التاريخ العلمي والحضاري.

مشكلة البحث:

تتلخص الإشكالية المحورية لهذا الموضوع في الإجابة عن الأسئلة الآتية: ماهي الأسباب الكامنة وراء اهتمام المماليك بالطب على الرغم من أنهم

أعاجم؟ وما هو الدور الذي لعبوه في تطوير المؤسسات العلاجية بصفة عامة؟. من هم أشهر الأطباء؟ وماهى أكثر الأمراض شيوعاً في عصرهم وكيف سعوا لمعالجتها؟

- منهج البحث: قد اتبعت في هذه الرسالة المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي الموضوعي لاستقراء حقائق دولة المماليك الأولى - حيث مرت الدراسة المنهجية بثلاث مراحل - مرحلة جمع المادة، ومرحلة النقد والتدقيق، ومرحلة الملاحظة وتجميع البيانات والأدلة في المواقف السلوكية والمثالية وغيرها. أولاً: التعريف بمصطلحات العنوان، الطب لغة:- هو الحاذق والماهر والجمع أطبة وأطباء الطب اصطلاحاً:- هو علاج الجسم والنفوس، ومنه علم الطب، والطبيب من حرفته الطب والطبابة، وهو الذي يعالج المرضى ومن في حكمهم، والأصل في الطب أنه حرفة من يريد التخفيف عن آلم الناس الجسمية وكرهم النفسية⁽²⁾

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أهمية الفترة التي أعقبت سقوط الخلافة الإسلامية في بغداد وضياع الكثير من المؤلفات والكتب الطبية وانهماك الغرب في ترجمة ما وقع في أيديهم من كتب العصر العباسي إلى اللاتينية، بينما تراجع التأليف في مجال الطب باللغة العربية، حتى جاء عصر المماليك الذي تمتع بظهور علماء أفذاذ ألّفوا في مجال الطب وغيره، أمثال الرازي والمجوسي وابن سينا ومن بعدهم ابن النفيس وابن القف الكركي وغيرهم.

الطب في الإسلام:

المماليك مصطلح فرض نفسه على تاريخ مصر والمنطقة العربية طوال فترة تزيد على ثلاثة قرون من الزمان، لاسيما بعد أن نجح أولئك المجلوبون عبيداً في طفولتهم في بناء دولة إقليمية عظمى حكمت مصر والشام والحجاز بشكل مباشر، كما فرضت نفوذها السياسي وقيادتها على المنطقة العربية ومدت سطوتها إلى كافة مستويات العلاقات السياسية والدبلوماسية في عالم البحر المتوسط والبحر الأحمر وأفريقيا على السواء.

يعتبر السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب 637-647هـ/1240-1249م، هو المسؤول عن ازدياد نفوذ المماليك على النحو الذي أدى إلى سيطرتهم على مقاليد الحكم عقب وفاته؛ ويقول المؤرخ تقى الدين المقريزي في هذا الصدد: «والملك الصالح هو الذي أنشأ المماليك البحرية في ديار مصر؛ وذلك أنه لما مر به ما تقدم، في الليلة التي زال عنه ملكه، بتفرق الأمراء وغيرهم من العسكر عنه حتى لم يبق معه سوى مماليكه، فراعى لهم ذلك. فلما استولى

على مملكة مصر أكثر من شراء المماليك، وجعل معظمهم عساكره؛ وقبض على الأمراء الذين كانوا عند أبيه وأخيه، واعتقلهم وقطع أرزاقهم، وأعطى مماليكه الأميريات، فصاروا بطانته والمحيطين بدهاليزه، وسماهم البحرية لسكناهم معه في قلعة الروضة على بحر النيل في القلعة التي بناها الصالح بين شعبي النيل إزاء المقياس»⁽³⁾.

اهتم الرسول ﷺ بصحة الإنسان، فأوصى بالحجامة والحقن ونهى عن الاستحمام بعد تناول الطعام مباشرة ووردت عنه أقوال مأثورة في الطب أصبحت مرجعاً لما عرف بالطب النبوي، وقد وصل أطباء المسلمين إلى أرقى أساليب الفحص الطبي فكان الطبيب يجس النبض، وينظر البول ويحلله، ويفحص ملحمة العين، وحالة النفس، ويتتبع تاريخ المرض، والعلل التي انتابته في حياته، ومعرفة الأصول الصحية للأسرة، وعاداته، وطرائق معيشته، ومناخ بلده. لهذا فقد برع الأطباء المسلمون في تشخيص الأمراض والتفريق بين المتشابه منها⁽⁴⁾.

يقول ابن أصيبعة أن بعضهم كان يقول أن الطب من الله تعالى، في إشارة لقول بعضهم هو إلهام بالرؤيا، واحتجوا لذلك بأن جماعة رأوا في الأحلام أدوية فاستعملوها في اليقظة فشفهم من أمراض صعبة وشفت كل من استعملها⁽⁵⁾. وانقسم المعالجون إلى ثلاثة مذاهب، قسم يعالج بالنصح (الطب الوقائي)، وقسم يعالج بتشخيص المرض ووصف الأدوية النباتية والحيوانية والمعدنية، والقسم الأخير الطب المزاجي الطبيعي والمعالجة بالسحر والطلاسم (الطب النفسي)، وقد حذر الأطباء من تناول المسكرات، واستخدموا الجراحة في العلاج، وعرفوا التخدير باستعمال الأفيون الحشيش لأجراء العمليات الجراحية. وقد ازدهر اللجوء إلى الكهانة والسحر، حتى ظهور الإسلام الذي عمل على القضاء على هذه الممارسات وفتح الباب على مصراعيه للطب الطبيعي، فلما مرض سعد بن أبي وقاص استدعى له الرسول صلى الله عليه وسلم الحارث بن كلده وهو على غير دين الإسلام، بالإضافة إلى ذلك فقد وجد المسلمون في القرآن شفاء وراحة، يقول تعالى (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ {التوبة/41})، ويقول: (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {النحل/96})، ويقول: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا {الإسراء/28})⁽⁶⁾ ومن أكثر الأحاديث شهرة في هذا الجانب قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه)⁽⁷⁾.

حال الطب في عصر المماليك:

يمتد العصر المملوكي من منتصف القرن السابع حتى بداية القرن العاشر للهجرة، أي منذ سقوط بغداد تقريباً حتى سيطرة العثمانيين

على مصر وبلاد الشام؛ وفي تلك الحقبة انهمك الغرب بترجمة كتب العصر العباسي الشهيرة إلى اللاتينية بينما تراجع التأليف الطبي بالعربية بشكل ملحوظ، لكن الأبحاث التراثية الأخيرة أثبتت أن ذلك العصر لم يخل من أعلام أفذاذ ألفوا في الطب أو شرحوا ما ألفه عباقرة الطب في العصر العباسي أمثال الرازي والمجوسي وابن سينا والسمرقندي. ويعد ابن النفيس أهم طبيب وسم بداية العصر المملوكي بشروحاته وملخصاته لقانون ابن سينا، لذا دأب لاحقوه على شرح كتاب الموجز الذي ألفه مختصراً به كتاب القانون لابن سينا أمثال الكازروني والآقسرائي والممشاطي؛ كما اشتهرت مؤلفات معاصره ابن القف الكركي صاحب كتاب «عمدة الإصلاحيين صناعة الجراح» الذي جعل منه أعظم جراحي العرب بعد الزهراوي، كما اشتهر بمؤلفه المسمى «جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع الأمراض» الذي عدّه الناقدون أهم مرجع في الصحة العامة في ذلك العصر⁽⁸⁾. وفي ذلك العصر اشتهر كذلك حاجي باشا الأيديني، صاحب كتاب «شفاء الأسقام ودواء الآلام» الذي ألفه في القاهرة المملوكية حيث درس الطب وتعلمه ثم انتقل ليخدم أمراء الأناضول ومن بعدهم سلاطين الدولة العثمانية الناشئة، كما اشتهرت عائلة ابن صغير الطبية في القاهرة. وقد تميزت الدولة المملوكية الحاكمة لبلاد الشام ومصر وغيرها من الأصقاع بشهرة أطبائها من خريجي مدارس الطب في القاهرة الذين تفاخر سلاطين الممالك بإرسالهم لتلبية لنداء ملوك الدولة العثمانية الناشئة كي يعالجوا أمراضهم المستعصية كما سنرى في حينه، وفي الحقبة العثمانية عرفت مشاركات الفقهاء في الطب مثل كتابات الإمام السيوطي كما سنرى لاحقاً⁽⁹⁾.

أهمية الأوقاف:

كان للأوقاف التي أوقفها السلطان المنصور قلاوون، على البيمارستان المنصوري، عظيم الأثر في تدريس الطب به، فقد نصت وثيقة الوقف على مصالح البيمارستان المنصوري على تعيين شيخ للاشتغال بالطب، ويكون من بين أطباء البيمارستان، وخصص له الواقف مكاناً محدداً لإلقاء دروس الطب على طلبته، وعليه أن يعلم الطب على إختلافه، يجلس بالمصطبة الكبرى المعينة له في كتاب الوقف المشار إليه، للاشتغال بعلم الطب على اختلاف أوضاعه، في الأوقات التي يعينها له الناظر، وما يرى ما صرف إليه، وليكن من جملة أطباء ذلك البيمارستان المبارك⁽¹⁰⁾.

البيمارستان:

يقال المارستانو بالمرستانو البيمارستان: فارسية تعني دار لمعالجة المرضى وإقامتهم، وهي مركب من بيمار: مريض وستان أي محل ويقال بالتركية

(خسنة خانة) وهي المستشفيات التي شيدها الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء والوزراء، وأهل الخير ولم تكن قاصرة على مداواة المرضى فقط، بل كانت معاهد علمية أيضاً ومدارس لتعلم الطب، وقد أنشأ أول بيمارستان في العالم الإسلامي في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك؛ وازدهرت البيمارستانات في عهد الخليفة العباسي هرون الرشيد؛ وأول بيمارستان شهدته مصر كان على عهد أحمد ابن طولون، أما أضخم بيمارستان في مصر والعالم الإسلامي كان الذي أنشأه المنصور قلاوون سنة 863هـ / 1284م، وذلك بعد أن تعافى من المرض الذي أصابه في دمشق عندما توجه لغزو الروم أيام الظاهر بيبرس سنة 675هـ / 1276م، وعولج بواسطة أطباء البيمارستان النوري نسبة للسلطان (نور الدين)، وقد تملكه الإعجاب بهذا البناء الضخم وقرر إقامة بناء مثله إذا أصبح سلطاناً لمصر، فبنى القبة لتكون جامعاً ومسجداً ومدفناً له بعد موته، كما عين بها مدرساً ومعيدين لتدريس العلوم وسمح للعديد من الطلاب بالإلتحاق بها، كما ألحق بها خزانة كبيرة للكتب وقيل في وصفه: «إنه كان يسمح فيه بعلاج النساء والرجال، ولم يكن يطرد منه أحد ولا تحدد مدة العلاج، كما عرف في مصر البيمارستان المنصوري وكان من قبل (قصرًا فاطمياً) وكان مهيباً لثمانية ألف شخص»⁽¹⁰⁾.

لقد حظي علم الطب باهتمام بالغ من المسلمين في ظل الحضارة الإسلامية، ولقي تشجيعاً كبيراً من سلاطين المسلمين وملوكهم على مرّ العصور الإسلامية، تجلّى ذلك في الاهتمام الكبير بإنشاء البيمارستانات، والصرف عليها، وجذب الأطباء الأكفاء للعمل فيها، وتوفير كافة الاحتياجات المعنوية والمادية لضمان أداء هذه البيمارستانات رسالتها وقيامها بوظائفها على الوجه المنوط بها. وتعدّ البيمارستانات (دور المرضى) أحد المظاهر الطبية التي أبانت عن التفوق العلمي والتطبيق العملي الذي برع فيه المسلمون وفاقوا فيه غيرهم، ووصلوا بها إلى درجة متقدمة من التطور الحضاري والتقدم العلمي، وكانت الأهداف والغايات التي تنشدها رسالة البيمارستانات نبيلة وسامية، لا يقصد من ورائها إلا خدمة الإنسان والمجتمع دون أي ثمن أو مقابل، لا فرق في ذلك بين الغني والفقير والحاضر والبادي، والمسافر والمقيم، ولم تكن مهمة هذه البيمارستانات قاصرة على مداواة المرضى، بل كانت في الوقت نفسه دوراً للرعاية الاجتماعية، ومعاهد علمية لتعليم الطب والصيدلة، حيث تلقى فيها الدروس النظرية إلى جانب التطبيقات العملية، إضافة إلى أنّ هذه البيمارستانات في ذلك العصر كانت منظّمة تنظيمًا مثاليًا من جميع النواحي المتصلة بها، سواء من ناحية اختيار الموقع والتصميم والبناء وتموينها وإدارتها، أو من ناحية أنظمتها العلاجية والإدارية والمالية⁽¹¹⁾.

يقول ابن الفرات في رواية بناء البيمارستان المنصوري: (لما رأي الملك المنصور التربة الصالحة التي أنشأها لوالدة ولده الملك الصالح، بالقرب من مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها، أعجبه؛ وأمر الأمير علم الدين سنجر الشجاعي مدير الدولة الشريفة بإنشاء تربة له ومدرسة وبيمارستان، ومكتب وسبيل في الدار المعروفة بالقطنية وما يجاورها بين القصرين، فأشترت الدار المذكورة من خالص مال السلطان الملك المنصور وعمل الأمير علم الدين سنجر على إعمارها فأظهر الإهتماموا لإحتفال مالم يسمع بمثله فعمرت في أسرع مدة⁽¹²⁾. وكانت المناقشات التي تدور بين كبار الأطباء في البيمارستان من أعظم الفوائد التي تعود بالنفع على طلاب الطب، (فتضاعفت الفوائد المكتسبة من اجتماعهم وبما كان يجري بينهم من الكلام في الأمراض ومداوتها، ومما كان يصفون به المرض⁽¹³⁾). وقد عمل المنصور قلاوون على تحديد الأوقاف لهذا البيمارستان لترتيب أوضاع أرباب الوظائف فيه وغيرهم، يقول القلقشندي: (ونظره رتبة سننية، يتولاها الوزراء، ومن في معناهم⁽¹⁴⁾). ومنذ ذلك الوقت ظهرت وظيفة «نظر البيمارستان» أي القائم على جميع شؤون البيمارستان المنصوري، وهي من أجل الوظائف وأعلاها، وعادة «النظر» فيه من أصحاب السيوف لأكبر الأمراء بالديار المصرية⁽¹⁵⁾. ورتب الأمير علم الدين سنجر الشجاعي⁽¹⁶⁾ مشرفاً على عمارة البيمارستان، فأظهر من الإهتمام بالعمارة والبناء ما لم يُسمع بمثله، وقد اجتهد الأمير سنجر في جلب المواد الضرورية للبناء، من مختلف البلاد، كما أحضر الأعمدة الرخامية اللازمة ووضع له مخططاً متكاملًا، وأنجزت العمارة في أحد عشر شهراً سنة 683هـ/1284م بحيث لا يصدق الناظر إليه أنها شيدت خلال هذه المدة القصيرة⁽¹⁷⁾ ولعل السبب وراء الإهتمام بالبيمارستان والوقف عليه يعود إلى إيمان القائمين عليه بأهمية الخدمات الصحية، والوقائية، والاجتماعية المختلفة، التي سيكون البيمارستان مركزاً لها. إلى جانب شمولية هذه الخدمات وعموميتها لجميع الناس، الأمر الذي يستلزم بذلاً منتظماً ومستمرًا⁽¹⁸⁾ وقد كان للأوقاف دور رئيسي في توفير الريع الوفير وفق جدول زمني منتظم، ومحدد بحيث لا يقع أي عجز مادي قد يسبب قصوراً في العناية الطبية أو الرعاية الصحية التي يحققها البيمارستان لعامة الناس طيلة الوقت، ومن ذلك الريع كان يصرف على البيمارستان ومن فيه من المرضى المقيمين والطارئين، وما تحتاج إليه كل طائفة من الدواء والشراب، والغذاء، والكسوة. بالإضافة إلى إيجور الأطباء، والموظفين من أمناء ومشرفين وفراشين⁽¹⁹⁾ ودائماً ما تقع على عاتق (ناظر الوقف)⁽²⁰⁾ تولي مهمة تأجير أوقاف البيمارستان، على مختلف أنواعها بحيث تكون مدة العقد ثلاث سنين، وأن

يكون المؤجر مسلماً مقتدرًا، ورعاً، تقياً، ملتزماً. ويتولى (الناظر) الإشراف على تحصيل الإيجارات وعمل الترميمات والإصلاحات اللازمة⁽²¹⁾. وبعد الافتتاح أعلن المنصور قلاوون أمام الملأ أن هذا البيمارستان لجميع المسلمين من مختلف الطبقات العليا والدنيا على حد سواء، ويتساوى في الانتفاع منه الملك والملوك والكبير والصغير والحر والعبد والذكر والأنثى، وسوف يتوفر فيه من الأطباء والمساعدين، والصيدالة والأدوات، والأدوية، ما يكفي لعلاج جميع الأمراض الحسية والعصبية والعقلية، باستخدام مختلف الأساليب العلاجية، من عقاقير وجراحة، بحيث يجد فيه كل مسقوم ما يفيدده ويحقق له الصحة والعافية. كما يحق لمن تخرج منه معافي كسوة، ومن مات جهاز، وكفن، ودفن⁽²²⁾، وقد نص على ذلك كله حرفياً في وثيقة الوقف⁽²³⁾.

كما اشتهرت عديد من البيمارستانات في أجزاء متفرقة من البلاد الإسلامية منها: بيمارستان أرغون الكامل بحلب، والبيمارستان المستنصري⁽²⁴⁾ بمكة، وبيمارستان المدينة، وبيمارستان الري، وبيمارستان تونس، وبيمارستان مراكش، وبيمارستان غرناطة، وغيرها من البيمارستانات التي انتشرت في أجزاء متفرقة من أرض الإسلام، واعتمدت في تمويلها على الوقف بالدرجة الأولى⁽²⁵⁾.

لم يقف أثر الأوقاف في الرعاية الصحية عند حد معالجة المرضى، بل تعداه إلى النهوض بعلم الطب وتعليمه، سواء في داخل البيمارستانات، حيث يرتبط التدريس النظري بالعملي، في مدارس متخصصة أنشئت لغرض تعليم الطب في كثير من الحواضر الإسلامية. وهو ما سمي في الحضارة الإسلامية بالمدارس الطبية المتخصصة⁽²⁶⁾. تلك المدارس التي لم تختلف عن غيرها من المدارس في نظمها، والأوقاف الخاصة بها، حيث كانت تُسمى في أغلب الأحيان باسم منشئها أو واقفها، وقلما عُرفت باسم مدرستها أو جهة وجودها. وكان منشؤها يوقفون عليها من الأوقاف ما يكفي للصرف عليها، وصيانتها، وللإنفاق على مدرسيها وطلبتها ومستخدميها، كما كان يحدد في حجة الوقف عدد من يشتغلون بهذه الصناعة من المدرسين والطلاب وصفاتهم، فقد اشترط الواقف لإيوان الطب في المدرسة المستنصرية ببغداد أن يكون بها عشرة من الطلاب المسلمين يدرسههم طبيب حاذق مسلم⁽²⁷⁾.

الحسبة على الأطباء:

لقد كان من ضمن مسؤوليات المحتسب⁽²⁸⁾، أن يأخذ على الأطباء عهد أبو قراط فيحلفهم (ألاً يعطوا أحداً دواءً مضراً، ولا يركبوا له سماً، ولا يضعه عند أحد من العامة، ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة، وللرجال الذي يقطع النسل، وليغضوا أبصارهم عن المحارم، عند دخولهم على المرضى، ولا يفشوا الأسرار، ولا يهتكوا الأسرار، ولا يتعرضوا لما ينكر عليهم فيه)⁽²⁹⁾.

قسم الأطباء هذا يماثل العهد الذي يقطعه الطبيب اليوم عند تخرجه ليبدأ العمل في إحدى المستشفيات، ولا شك أن الحلف الذي يأخذه الطبيب على نفسه، بحضرة المحتسب يجعله فيما بعد مسؤولاً من الناحية القانونية عند مخالفة أي شرط من شروطه⁽³⁰⁾.

كان المحتسب لا يعطي الكحالون، إذن العمل إلا بعد إجراء الإمتحان المقرر، والخاص بالعيون، وما يتعلق بها من أمراض، وظواهر، وعقاقير، فإن اجتاز الكحال الامتحان، أخذ على نفسه قسماً علنياً بحضرة المحتسب، بأن يعمل بإخلاص وأمانة متبعاً أحدث الوسائل في العلاج، وأجود أنواع العقاقير، والأكحال⁽³¹⁾. وأما المجبرون⁽³²⁾ فلا يحل لأحد أن يتصدى للجبر، إلا من بعد أن يمتحنه المحتسب في كتب الجبر، وأن يعلم عدد عظام جسم الإنسان، وشكل كل واحد منها، وصورته وقدره، حتى إذا انكسر منها شيء، أو انخلع رده إلى موضعه على الهيئة التي كان عليها⁽³³⁾. وأما الجراحيون⁽³⁴⁾ فيجب عليهم أن يعرفوا علم التشريح وأعضاء الإنسان، وما فيه من عضل، وعروق، وشرابين، وأعصاب، وأن يتعلموا كيفية استخدام مختلف أدوات الجراحة بمهارة تامة، بحيث تتم الجراحة بنجاح دون مضاعفات. ويحصل أحدهم على الرخصة بمزاولة الجراحة من المحتسب، بعد أن يثبت له علمه بكل جزئيات علم الجراحة⁽³⁵⁾.

لا شك أن هذه الإجراءات التي يقوم بها المحتسب نحو مختلف فئات الأطباء، تدل على حرص الدولة على مراقبة حسن العمل، والتدقيق مع كل من يعمل بهذه المهنة، فيكون الطبيب المرخص مالكا لإذن رسمي، يتيح له ممارسة المهنة، بحرية وفق الشروط المتفق عليها. وإذا ما انحرف عنها أو تجاوزها فإن ذلك يضعه في موقف المساءلة القانونية أمام المحتسب الذي يمثل الدولة في هذه الحالة. وعلى ذلك سيقصر العمل في هذا الحقل الوقائي الطبي على أصحاب الكفاءة والعلم دون الدجالين، ومحترفي الشعوذة⁽³⁶⁾.

أهم الأمراض وطرق العلاج:

لقد ضم البيمارستان أطباء في مجالات الأمراض الباطنية وغيرها، وأفرد لكل طائفة من المرضى قسماً خاصاً، فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحميات وغيرها، وجعلت قاعة منفردة للرمدي، وقاعة للجرحى، وقاعة لمن أفرط به الإسهال، وقاعة للنساء، ومكان حسن لمرضى المراءة من الرجال، ومثله للنساء، وزودت جميع الأماكن بالماء لمختلف الأغراض، كما زوده بكثير من العقاقير لعلاج المرضى، كما خصص فيه فراشين من الرجال والنساء لخدمة المرضى، كما أفرد مكاناً للطبخ، وآخر لإعداد الأدوية والأشربة (صيدلية) لتحضير المعاجيين والأكحال وغيرها، وخصص أماكن لتخزين الحواصل والمؤن،

كذلك جعل مكاناً يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء دروس الطب للطلاب، وأمر بأن تعزف الموسيقى للمرضى الذين لا يستطيعون النوم⁽³⁷⁾.

لقد كان لكل قسم من أقسام البيمارستان ما بين طبيب وثلاثة، حسب اتساع القسم، وعدد المرضى، وقد اشتملت المراكز الطبية على طائفة الأطباء، وطائفة الكحالين، وطائفة الجراحية، وطائفة المجبرين، وكان لكل طائفة رئيس ينظم شؤونها، ويقسم العمل بين أفرادها⁽³⁸⁾، كان رئيس الأطباء مسؤولاً عن طائفة الأطباء ويتمتع بصلاحيات إعطائهم الأذن في ممارسة العلاج بالإضافة للمحتسب كما الكحالين، وأيضاً كان لرئيس الجراحين الشئ نفسه على طائفة الجراحين⁽³⁹⁾.

تشير وثيقة الوقف كذلك على حرص المنصور قلاوون على تطبيق نظام المناوبة (الوردية) بين الأطباء الذين يباشرون المرضى والمختلين، الرجال والنساء بهذا البيمارستان مجتمعين ومتناوبين، بإتفاقهم على التناوب، أو بإذن الناظر في التناوب⁽⁴⁰⁾ بالإضافة إلى (قسم الطوارئ) الذي يستقبل الحالات الطارئة، والحوادث المفاجئة، على مدار الساعة، كما نصت وثيقة البيمارستان على أجور الأطباء بحسب ما يقتضيه الزمان، وحاجة المرضى، وخبرة الطبيب⁽⁴¹⁾.

لقد قسمت منفعة البيمارستان بين رعاية المرضى المستقرين فيه، وبين مرضى العيادة الخارجية، وأيضاً المرضى المستقرين في منازلهم. فقد حظي مرضى المنازل بالرعاية الطبية، والدواء، والشراب، والغذاء حتى زاد عددهم⁽⁴²⁾.

الطب وأبرز الأطباء:

لقد خصص في البيمارستان مكاناً لتدريس الطب، حيث يقوم رئيس الأطباء بتدريس طلاب الطب⁽⁴³⁾. ولعل هذا الوضع يشبه إلى حد كبير وضع كليات الطب الموجودة في المستشفيات الحديثة اليوم، حيث تتاح لطلاب الطب ممارسة الطب السريري (الإكلينيكي) في مستشفى الجامعة التعليمي، وقد حرص الواقف، المنصور قلاوون، في وثيقة الوقف على توضيح أهمية تدريس الطب بالبيمارستان إذ اشترط: (الإشتغال فيه بعلم الطب والانشغال به⁽⁴⁴⁾) وهذه نسخة من تقليد الحكيم مهذب الدين، وظيفته التدريس في البيمارستان

المنصوري:

1. إن الهدف من إنشاء البيمارستان هو تحقيق الخير من خلال خدمة المرضى، وعلاجهم، ولكي يستمر في العمل، والفائدة أوقفت عليه الأوقاف الكثيرة والجليلة، مع شرط أن تشمل منفعته جميع الناس، لا فرق بين أمير أو مأمور، سيد أو مسود، غني أو فقير، صغير أو كبير، ذكر أو أنثى.

2. إنه في سبيل استمرارية البيمارستان في العطاء، وتقديم أفضل الطرق في العلاج وأحسن الأساليب في الدواء، ألحقت به مدرسة لتعليم الطب لفائدة الطبيب وطالب العلم، وعيّن الحكيم مهذب الدين على رأس هذه المدرسة⁽⁴⁵⁾ ومن الذين درسوا الطب في البيمارستان المنصوري على سبيل المثال، محمد بن محمد بن عبد الرحمن التونسي، الذي اشتهر بعلمه الغزير، وكان يداوم على قراءة كتاب الشفاء لابن سينا كل ليلة، وكذلك محمد بن علي بن عبد الكافي القاهري، الذي تميز في الطب وتدرّب عليه، وله كتاب يسمى (الزبد)، وكان أحد أطباء البيمارستان⁽⁴⁶⁾.

أبرز الأطباء:

سنتناول في هذا البحث أهم أطباء الدولة المملوكية في كل من بلاد الشام ومصر وذلك في الفترة الممتدة منذ قيامها وحتى قيام الدولة العثمانية، مع التركيز على سيرة حياة كل عالم يترجم له وأهم مؤلفاته الطبية. ونظراً لضيق الحيز في هذا البحث فقد تم اختيار بعض الأطباء الذين ولدوا في إحدى مدن بلاد الشام ومصر أو خدموا سلاطين المماليك الحاكمين لهذين البلدين، مع إغفال ذكر الأطباء المولودين في الحجاز واليمن رغم انضوائهما تحت لواء دولة المماليك.

1- ابن النفيس⁽⁴⁷⁾ 607-687هـ/1210-1288 م:

هو علاء الدين علي بن أبي الحزم المعروف بأبي الحسن ابن النفيس، القرشي نسبة إلى قرش، في ما وراء النهر، ومنها أصله. أهم طبيب وسم بداية العصر المملوكي شروحاته وملخصاته، طبيب كحال وعالم موسوعي وفيلسوف، ولد بدمشق سنة 706 م هـ/1121 م وتوفي بالقاهرة سنة 786 هـ/8821 م، درس الطب في دمشق على مشاهير العلماء، وخصوصاً على مهذب الدين الدخوار، ثم نزل مصر ومارس الطب في المستشفى الناصري ثم في المستشفى المنصوري الذي أنشأه السلطان قلاوون حيث أصبح عميد أطباء هذا المستشفى وطبيب السلطان بيبرس، كان زميل دراسة لابن أبي أصيبعة إذ تتلمذ كلاهما على يد الدخوار كما مارسا الطب معاً في المشفى الناصري لسنوات، لكن ابن أبي أصيبعة لم يأت على ذكره في كتابه الشهير عيون الأنباء، ويقال إن سبب هذا التجاهل هو خلاف حصل بينهما؛ غير أن لابن النفيس ذكراً في كثير من كتب التراجم أهمها كتاب شذرات الذهب للعماد الحنبلي وحسن المحاضرة للسيوطي، أوقف داره وكتبه وكل ماله على البيمارستان المنصوري.

أهم كتب ابن النفيس في الطب: شرح تشريح القانون⁽⁴⁸⁾ لابن النفيس، يوجد من هذا الكتاب العديد من المخطوطات أشهرها نسخة المكتبة الظاهرية في دمشق ومنها صورة في معهد التراث بحلب، ونسخة آيا صوفيا في استنبول، ونسخة برلين. ويعد الكتاب أهم مؤلفات ابن النفيس وإحدى مفخر الحضارة العربية.

أهم اكتشافات ابن النفيس: اكتشافه فيزيولوجيا الدوران الرئوي-القلبي أو الدورة الدموية الصغرى، كما اهتم بتشريح الجهاز التنفسي والشرائين ووظائفها، واكتشافه أن عضلات القلب تتغذى من الأوعية الدموية المبتوثة في داخلها وهي الأوعية الإكليلية (أو التاجية)، وليس من الدم الموجود في أجوافه، والجزم بعدم وجود ممرات بين البطينين يتم فيها اختلاط الدم بالهواء، وتناول في جراحة على القيود التقليدية التي كانت تشل نشاط المشتغلين بالعلم، وتحرر من سيطرة جالينوس وابن سينا وأن كرم المتره عينه أو يصدقه عقله؛ وهذه المقدمة تشتمل على خمس مباحث: شروح الموجز: وهو موجز لكتاب القانون لابن سينا في أربعة أجزاء، وثاني مفخر ابن النفيس، يحوي الكتاب آراء ابن سينا في كتاب القانون عدا ما تعلق منها بالتشريح ووظائف الأعضاء، وقد كتبه ابن النفيس بطريقة علمية دقيقة معتمداً كذلك على ملاحظاته العملية وبأسلوب ميسر، لذا كثر الاعتماد عليه حتى نهاية القرن التاسع عشر كما كثرت شروحاته ونفاسيه طيلة أربعة قرون، أي خلال العصرين المملوكي والعثماني. أما الشروح الأربعة الأخرى فهي: - شرح سديد الدين الكازروني (توفي 1357 م)، وشرح جمال الدين الأقسرائي (توفي 1398 م)، وشرح نفيس بن عوض الكرمانلي (توفي 1448 م)، وشرح محمود الأمشاطي (توفي سنة 1496 م).

2- اللبودي⁽⁴⁹⁾ 607-670 هـ / 1210-1271 م يحيى بن عبدان بن عبد الواحد الدمشقي، نجم الدين صاحب ابن اللبودي طبيب، حكيم، رياضي، أديب، ناظم، ناثر، ولد في حلب ونشأ بدمشق، واتصل بالملك المنصور صاحب حمص فاستوزره وفوض إليه أمور دولته، ثم انتقل إلى مصر (سنة 643 هـ / 1245 م) بعد وفاة المنصور، فجعله الملك الصالح أيوب ناظراً على الديوان بالإسكندرية، فأقام فيها حيناً ثم عاد إلى دمشق فكان ناظراً على الديوان في جميع الأعمال الشامية حتى سنة 661 هـ / 1262 م، وله نظم.

من أهم آثاره في الطب: تدقيق المباحث الطبية في تحقيق المسائل الخلافية، مختصر الكليات من كتاب القانون لابن سينا، مختصر كتاب الاشارات والتنبيهات لابن سينا، مختصر كتاب الملخص لابن خطيب الري، شرح كتاب المسائل لحنين بن إسحاق.

3- ابن القف الكركي⁽⁵⁰⁾ 630-685 هـ / 1233-1286 م، هو يعقوب بن

إسحاق، أبو الفرج أمين الدولة ابن القف الكركي: أعظم جراحي العرب بعد الزهراوي عالم بالطب والجراحة وفيلسوف، منصار بالكرمكلى المذهب. استقر في دمشق، فقرأ على ابن أبي أصيبعة الكتب المتداولة في صناعة الطب والعلاج، كم سائل حنين، والفصول لإبقراط، وكتب أبي بكر الرازي. وقرأ الفلسفة والحكمة على عبد الحميد الخسر وشاهي وغيره. خدم بصناعة الطب في عجلون، ثم عاد إلى دمشق يعالج المرضى، في قلعتها وتوفي بها.

من أهم كتبه في الطب: عمدة الإصلاح في صناعة الجراح: الذي يقال له العمدة في صناعة الجراحة، ويتألف من عشرين مقالة، طبع أول مرة في حيدر آباد سنة 1356هـ / 1937م، ثم طبعته الجامعة الأردنية بعمان عام 1994م بتحقيق د سامي الحمارنة، كما ترجمت أجزاء منه إلى الألمانية وهناك العديد من نسخه الخطية ومنها صورة في معهد التراث بطلب، والأصول في شرح الفصول، لأبقراط: اختصر هبشارة زلزل في الإسكندرية سنة 1902م في رسالة سماها ملخص شرح ابن القف على فصول أبقراط مع ترجمة إلى الفرنسية، والشافي في الطب: يقع في اثنتي عشرة مقالة في تعريف الطب والصحة الجسمية والنفسية والأعراض والأمراض ومعالجتها، توجد منه نسخة في الفاتيكان والمكتبة البريطانية، وشرح الكليات من قانون ابن سينا: ومخطوطتها في ستة مجلدات في الظاهرية بدمشق ومنها صورة في معهد التراث بطلب، وجامع الغرض في حفظ الصحة ودفع الأمراض: ومخطوطته في الرباط والمكتبة البريطانية وفي معهد ويلكوم. وقد حققه سامي حمارنة في جامعة الأردن.

4- ابن الأكفاني⁽⁵¹⁾ أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن مساعد الأنصاري السنجاري السخاوي⁽⁵²⁾، أهم أطباء العصر المملوكي في النصف الأول من القرن الثامن، طبيب باحث وعالم بالحكمة والرياضيات والكيمياء والفلك. ولد ونشأ في سنجار، وسكن القاهرة حيث أشرف على خزنة العقاقير في البيمارستان المنصوري، توفي في القاهرة سنة 749 هـ / 1348 م.

أهم كتبه في الطب:

روضة الألبا في أخبار الأطباء: اختصر وأكمل به عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة، وغنية اللبيب في غيبة الطبيب: وهو كتاب في حفظ الصحة والتحرز من الأمراض ومعالجتها حين لا يوجد طبيب، (الطب المنزلي والإسعافي)، وقد طبع في جامعة بغداد عام 1989م، ونسخته الخطية في بيروت بالجامعة الأمريكية ومنها صورة في معهد التراث بطلب، وفي دار الكتب المصرية، وفي لوس أنجلوس وفي مكتبة غوتا وأحمد الثالث بإسطنبول، كشف الرين في أحوال العين: وهو مختصر في طب العين ويتألف من ثلاث مقالات: في كليات العين، وفي أمراض

العين، وفي أدوية العين المفردة والمركبة. طبع بتحقيق محمد قلعه جي ومحمد وفائي بالرياض 1414هـ / 1993م، نهاية القصد في صناعة الفصد: ومخطوطاته في الأحمديّة بحلب ومنها صورة في معهد التراث، وفي تونس وفي دار الكتب المصرية برقم (48/6) وفي تشستريتتي وفي بيروت.

5- حاجي باشا الأيديني⁽⁵³⁾ توفي بالقاهرة سنة 820هـ / 1417م، خضر بن علي بن مروان بن علي الخطاب، حسام الدين الأيديني (أو الأيديني)، طبيب تركي تعلم في القاهرة المملوكية وخدم الدولة العثمانية الناشئة في النصف الثاني من القرن الثامن، طبيب متكلم من علماء الحنفية، أصله من قونية ومولده في أيدين في الأناضول، سافر إلى مصر لتعلم الفقه فأصيب بمرض مما حمله على تعلم الطب بعد شفائه منه في القاهرة. مارس القضاء والطبابة في سراي قونية التي كانت عاصمة الدولة العثمانية آنذاك.

من أهم كتبه في الطب: شفاء الأسقام ودواء الآلام: وهو أهم مؤلفاته، والتعاليم في الطب: وهو أول مؤلفاته وثاني أهم كتبه بعد شفاء الآلام، وتوجد منه عدة مخطوطات في تركيا أهمها مخطوطة مكتبة أحمد الثالث في طوبقابي بإسطنبول المحفوظة برقم (1947) والمؤلفة من (151) ورقة، بخط المؤلف سنة 771هـ / 1370م، وقد كتبها عندما كان في المدرسة الشيعونية بالقاهرة. وهناك مخطوطة أخرى محفوظة في مكتبة طرخان وفي جامع السليمانية بإسطنبول برقم (1/258)، وهي بخط المؤلف كتبها سنة 761هـ / 1360م، والتسهيل في الطب: وهو مختصر لكتاب شفاء الأسقام كتبه بالتركية، والفريدة فيذكر الأغذية المفيدة، وأرجوزة في الطب: طبعت في إسطنبول، وله كتب عديده منها: اختيارات الشفاء، التعاليم في الطب، الكي في الطب، كناشة الجلال وغيرها. 6- ابن قيّم الجوزية⁽⁵⁴⁾ 691-751 هـ / 1292-1350م، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية نسبة إلى أبيه الذي كان قيماً على المدرسة الجوزية. أول من كتب في علم تطور الجنين والوراثة بشكل موضوعي، من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار العلماء، وعالم مشارك في علم الحياة والطب. مولده في دمشق حيث نشأ وتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه وطيف به على جمل مضرورياً بالعصى وأطلق بعد موت ابن تيمية. كان حسن الخلق محبوباً عند الناس، أغري بحب الكتب فجمع منها عدداً عظيماً، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً، كما ألف تصانيف كثيرة في الطب والفقه والأدب، وله نظم. دفن بعد وفاته في سف حقاسيون بدمشق.

من تصانيفه في الطب: تحفة الوجود بأحكام المولود، والطب النبوي: من أشهر الكتب في هذا الموضوع، وأهم طبعاته ما حققه عبد المعطي قلعه جي في القاهرة عام 1975م، كما طبعته دار الكتاب المصري اللبناني عام 1999م، وكتاب الداء والدواء: ويسمى كذلك الجواب الكافي، وقد طبعته دار الكتاب المصري بتحقيق عبد الغفار سايم في القاهرة 1999م، ومعجم التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية.

7- داود الموصل⁽⁵⁵⁾ توفي بعد سنة 726هـ/1326م، داود بن ناصر الأغبري الموصل الحصك في: طبيب من أهل الموصل، أقام في حصن كيفا حتى وفاته، وهو يلقب بطبيب الدولتين.

من أهم كتبه في الطب: روضة الألبا في تاريخ الأطباء: جعله ذيلًا لطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، ومخطوط تهفيدار الكتب المصرية وفي برلين، حققه عبد الكريم أبو شويرب، نهاية الإدراك والأغراض فرغ منه سنة 726هـ/1326م، وخاص الخاص الملتقط من خواص الخواص، في الطب.

8- صدقة الشاذلي⁽⁵⁶⁾ توفي 792هـ/1390م، صدقة بن إبراهيم الشاذلي، الشهير بالمصري طبيب كحال، اشتهر بمؤلفه في طب العيون والمسمى «العمدة الكلية في الأمراض البصرية» وقد فرغ من تأليفه سنة 766هـ هجرية والذي يتألف من خمس جمل: في تشريح العين ووظائفها وفي بعض الكليات المتعلقة بالعين، وفي أمراض العين الواقعة تحت الحس، وفي أمراض العين غير الظاهرة للحس، وفي أدوية العين.

9 - عائلة ابن صغير:

اشتهرت عائلة ابن صغير بأنها أنجبت العديد من الأطباء الذين ترأسوا الطب في بيمارستان القاهرة؛ وعلى الرغم من قلة المؤلفات الطبية لأطباء بني صغير إلا أن شهرة العائلة تكمن في أنها قدمت أطباء عالجاو سلاطين الماليك وأمراءهم، كما أن أحد أفرادها وهو علاء الدين بن صغير اشتهر بعلاجه للسلطان العثماني بيازيد بن مراد في القسطنطينية.

وفيما يلي أهم أطباء هذه العائلة المؤلفة من عدة فروع حتى نهاية القرن التاسع للهجرة، نقلًا عن الضوء اللامع للسخاوي ومعجم المؤلفين لكحالة، علماً أن الأسماء والألقاب قد تختلف حسب المرجع.

أ- ناصر الدين ابن صغير⁽⁵⁷⁾ 691-749هـ/1291-1348م محمد بن محمد بن عبد الله بن صغير، ناصر الدين المصري أول من اشتهر من عائلة ابن صغير الطبية، وقد اشتهر بعلاجه للأمير المملوكي ألطنبغا المارداني في حلب سنة 744هـ/1343م، كما ورد في الضوء اللامع، توفي الطبيب ناصر الدين

بطاعون مصر عام 749هـ/1348م، ولم تذكر له مؤلفات في الطب.

ب- علاء الدين بن صغير توفي 796هـ/1394م، علاء الدين علي بن عبد الواحد بن محمد ابن صغير وهو أشهر أطباء بني صغير، إذ ولي رئاسة الأطباء بالديار المصرية ثم توجه إلى حلب كي يكون في خدمة الملك الظاهر برقوق الذي أرسله بدوره إلى بلاد الروم ليعالج الملك بيازيد بن مراد من مرض في مفاصله، وبعد إتمام مهمته عاد إلى حلب حيث توفي سنة 796هـ/1394م، لكن جثمانه نقل إلى القاهرة حيث دفن، قال عنه السيوطي: كان أعجوبة الدهر في الفن. ولي رئاسة الطب دهرًا طويلاً، وله فيه المعرفة التامة، بحيث كان يصف الدواء الواحد للمريض الواحد بما يساوي ألفاً وبما يساوي درهماً، وكان الشيخ عز الدين بن جماعة يثني على فضائله. ما تفيضي الحجة سنة ست وتسعين وسبع مائة، ما توهو بحلب، في يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجة، ودفن بها، ثم نقل إلى القاهرة، وكان من محاسن الدنيا⁽⁵⁸⁾.

ج- شمس الدين بن صغير 745-823هـ/1344-1420م، محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الطبيب الفاضل شمس الدين بن صغير ولد فيمكة وكان أبوه فراشاً فمال إلى الطب وحفظ الموجز لابن النفيس وشرحه، وتصرف في معالجة المرضى وصحب البهاء الكازروني، قال عنه المقريزي: كان يتردد إلي كثيراً، وله ثروة وحسن شكالة. ما تبعد مرضطولي فيعاشرش والسنة ثلاث وعشرين، من آثاره: شرح الموجز في الطب لابن النفيس⁽⁵⁹⁾.

10- السيوطي⁽⁶⁰⁾ 849-911هـ/1005-1445م، هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي الشافعي، أهم عالم موسوعي في القرن التاسع للهجرة، كانت ولادته في مستهل رجب عام 849هـ تشرين الأول 1445م في القاهرة حيث كان أبوه يدرّس الفقه في المدرسة الشيخونية. نشأ يتيماً، فقد توفي والده من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر. وأسندت وصايته إلى أحد مشايخ الصوفية من أصدقاء أبيه، وقد حفظ القرآن وله من العمر ثماني سنوات. قرأ علم التوقيت على محمد الميقاتي، والطب على محمد بن إبراهيم الدواني. من اعتقاده الذي ألّب عليه العلماء في عصره أنه ادعى رؤية الرسول في اليقظة والنمام، وله رسالة في ذلك. بدأ السيوطي دراسته في القاهرة، وأتمها متنقلاً بين بلدان مصر، وحاجاً إلى مكة المكرمة سنة 869هـ. كان السيوطي عفيفاً كريماً غني النفس، متباعداً عن ذوي الجاه والسلطان، لا يقف بباب أمير ولا وزير، قانعاً برزق ضئيل. وكان بعض الأمراء والوزراء والأغنياء يزورونه، ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. نشأ الإمام السيوطي في عائلة اشتهرت بالعلم.

المؤلفات الطبية لجلال الدين السيوطي: لم يعرف عن السيوطي أنه مارس الطب، ولكن شغفه بالمطالعة والتأليف والتلخيص شجعه على وضع بعض المؤلفات الطبية، وشبه الطبية. كما نسب إليه كتاب مشهور جمع بين الطب التقليدي والطب النبوي، بالإضافة إلى طب العرافين والمشعوذين. وفيما يلي أسماء أهم تلك المؤلفات:

كتاب المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي: ترجم الكتاب إلى الفرنسية عام 1860م من قبل بيرون، وإلى الانكليزية عام 1962م من قبل وأولى طبعاته بالعربية كانت في القاهرة سنة 1870م، كتاب غاية الإحسان في خلق الإنسان: نشر الكتاب محققاً دار الفضيلة بالقاهرة سنة 1991م بتحقيق مرزوق علي إبراهيم، كتاب الرحمة في الطب والحكمة، المنسوب لجلال الدين السيوطي: لهذا الكتاب عدة طبعات جرت في مصر، الأولى في المطبعة الشرقية سنة 1311هـ/، والثانية في المطبعة الميمنية سنة 1322هـ/، والثالثة في دار الكتب العربية الكبرى سنة 1329هـ، والرابعة في مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة 1357هـ/. وفي سورية قامت مكتبة محمد الحلبي بتصوير الطبعة الأخيرة، ونشرتها بدون تاريخ، كما قامت مطبعة صبيح بالقاهرة بالعمل نفسه. ويجمع الباحثون في التراث الطبي العربي أن كتاب الرحمة في الطب والحكمة إنما هو من تأليف محمد مهدي بن علي الصُنْبُري، اليمني المقرئ، المتوفى (815هـ/1412م) وقد نُسب خطأ للسيوطي؛ كما أكد حاجي خليفة في كشف الظنون⁽⁶¹⁾، رسالة (ما رواه الواعون في أخبار الطاعون): ومخطوطته محفوظة في مكتبة الأسد برقم (17365)، فوائد لعلاج بعض الأمراض: ومخطوطته في مكتبة سامي حداد ببيروت، المقامات الطبية: وتحتوي على مقامات في التغذية كالمقامة الخضرية والمقامة الفستقية والمقامة التفاحية.

أطباء آخرون:

11- عبد الرحمن البسطامي⁽⁶²⁾ توفي سنة 858 هـ/1454م عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أحمد البسطامي الحنفي، زين الدين: طبيب وباحث في الأدوية وفاضل متصوف ومؤرخ وكاتب مترسل، ولهم عرفة بتعبير الأحلام. ولد بأنطاكية وتعلم بالقاهرة وسكن بروسة عاصمة العثمانيين آنذاك حيث توفي. أهم مكتبته في الطب: وصف الدواء في كشف آفات الوباء⁽⁶³⁾، الأدوية المنتخبة في الأدوية المجربة: رسالة مختصرة في الأدوية التي تعالج الطاعون. ونسختها في خزانة الأوقاف ببغداد سنة 838هـ.

12- ابن الأمشاطي⁽⁶⁴⁾ 812-902 هـ/1409 - 1496م محمود بن أحمد بن حسن العينتابي الأصل، القاهري، مظفر الدين أبو الثناء ابن الأمشاطي: طبيب

وفقيه ونحوي وموقت ومساح ومشارك في بعض العلوم. والأمشاطي جده لأمه والذي كان يتاجر بالأمشاط. ولد بالقاهرة ونشأ بها، وزار دمشق مرات، وحج وجاور مدة، واعتنى بالسباحة ورمي النشاب، وربط في بعض الثغور، وسافر للجهاد، واشتغل بالطب ودرّسه بجامع طولون والمنصورية. توفي بالقاهرة.

من أهم آثاره في الطب: المنجز في شرح الموجز للعلاء بن النفيس: مخطوط في الطب في مجلدين، وتأسيس الصحة في شرح اللحمية (العفيفية) لابن أبي السرور الإسرائيلي (أمين الدولة): ومنه عدة مخطوطات في إسطنبول وغيرها، كما ذكره بروكلمان (ذيل ج 1، ص 898)، تأسيس الإتقان والمتانة في علل الكلى والمتانة: ونسخته الوحيدة محفوظة في مكتبة شهيد علي بإسطنبول برقم (2006) في 44 ورقة، بخط نسخ سنة 1088 هـ، وفيما يحتاج المسافر في الطب: كراسة، وتسمى أيضاً رسالة الإسفار في حكم الأسفار.

-13 سبط المارديني⁽⁶⁵⁾، 826-912 هـ / 1423-1506 م محمد بن محمد الغزال بدر الدين المعروف بسبط المارديني، ولد في القاهرة ثم ارتحل طلباً للعلم إلى الشام والقدس وحماه ومكة ثم عاد إلى القاهرة ليصبح صاحب مجلس قبل وفاته فيها. نبغ في علم الهيئة والرياضيات، كما اشتهر بعلم الميقات فأصبح موقتاً مثل جده عبد الله بن خليل المارديني.

أهم مؤلفاته:

صنف حوالي سبعين كتاباً في الرياضيات والهيئة والميقات والطب أهمها: الرسالة الشهابية في الصناعة الطبية: وهي مؤلفة من ثمانين باباً تتحدث في الوصايا الصحية والأمراض السهلة⁽⁶⁶⁾.

الخاتمة :

وكشفت لنا الدراسة ما كان يذخر به هذا العصر من علماء بارزين فمجال الطب تركوا لنا ثروة ضخمة من أمثال ابن النفيس وابن اصبعة وغيرهم، أسهمت مجهوداتهم العلمية في عصر النهضة في أوروبا. وتوصلت إلى أن البيمارستان المملوكي لم يكن مكاناً لعلاج المرضى فحسب، بل كان مدرسة للطب، وهذا أشبه بنظام المستشفيات الجامعية في العصر الحاضر، التي يختص كل منها بالدراسة العلمية لطلبة كلية من كليات الطب. وقد أنشئت لرعاية المرضى والمحتاجين من الفقراء والمساكين دور الرعاية الصحية والاجتماعية على اختلافها. كما اتضح من خلال البحث أن نظام الوقف في كثير من صوره وأنماطه قد اتصل بصفة مباشرة مع كثير من جوانب الحضارة الإسلامية فأثر وتأثر بها.

النتائج:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد نخلص إلى ما وصلت إليه من نتائج .

- انشاء البيمارستانات وتقديم كل أوجه الرعاية اللعناية بالمرضى من خلالها.

تخصيص الأوقاف العظيمة لخدمة الطب للمدرسين والمرضى والأدوية والغذاء.

- تعيين المحتسبين على الأطباء والمشتغلين بالطب لتحقيق أعلى درجات الجودة والإتقان.

التوصيات:

الأهتمام بالوقف فقد لا تكاد تجد ناحية من نواحي الحياة في المجتمع الإسلامي في الدولة المملوكية إلا وهي ذات صلة بنظام الوقف مع تفاوت في حجم هذه الصلة، لقد وضح أن العلماء بذلوا جهداً مقدراً؛ ولكن بقي أن يتسع جهدهم وينشر فكرهم على أوسع نطاق. وأفضل الوسائل إلى ذلك الاتحاد بين العلماء والحكام على كلمة سواء. والاشارة الى الحديث: فتتأن إن صلحتا صلحت الأمة: الأمراء والعلماء

المصادر والمراجع :

- (1) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن أبي القاسم بن خليفة السعدي ت 668هـ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2001م.
- (2) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن محمد، توفي سنة 807هـ / 1402م: تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق- بدون تاريخ ومكان نشر
- (3) ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرازق بن أحمد الشيباني، ت 723هـ / 1323م: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تصحيح وتعليق / مصطفى جواد، بغداد: المكتبة العربية 1351هـ / 1932م،
- (4) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، مؤسسة الرسالة ط 2001م
- (5) ابن حبيب، بدر الدين الحسن بن عمر، توفي سنة 779هـ / 1377م: تذكرة النبیه في أيام المنصور وبنیه، الجزء الأول تحقيق محمد محمد أمين- القاهرة 1977م
- (6) حاجي باشا الأيدنلي ت 816هـ / 1413م، فقيه نسبة إلى أيدين من معاصري السلطان بايزيد الأول تعلم في القاهرة وأتقن الطب إلى أن أصبح كبير أطباء مارستان مصر، من مؤلفاته (الشفاء).
- (7) المقرئزي، أحمد بن علي، ت 845هـ / 1442م: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 2، 1، تحقيق مصطفى زيادة، القاهرة - 1936 1958م، ج 4، ص 3، تحقيق سعيد عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1970 / 1973م
- (8) المقرئزي، أحمد بن علي، ت 845هـ / 1442م: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 2، 1، تحقيق مصطفى زيادة، القاهرة - 1936 1958م، ج 4، ص 3، تحقيق سعيد عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1970 / 1973م
- (9) الحجّي، حياة ناصر (صور من الحضارة العربية والإسلامية في دولة المماليك، مطبعة دار القلم للنشر والتوزيع - الكويت، 1992م
- (10) السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، توفي سنة 771هـ / 1370م: معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار، وأبو زيد شلبي، ومحمد أبو العينين، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، القاهرة 1948م
- (11) لمزيني، إبراهيم: المدارس الطبية المتخصصة في الحضارة الإسلامية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثالث عشر ذو القعدة / 1415هـ - 1978م،
- (12) أبو العباس أحمد بن علي، توفي سنة 821هـ / 1414م، القلقشندي: صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، نسخة مصورة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة عن المطبعة الأميرية، بلا تاريخ.
- (13) كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين - منشورات المكتبة العربية، دمشق. 1957

المصادر والمراجع:

- (1) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن أبي القاسم بن خليفة السعدي ت 668هـ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2001م، ج1، ص11، وابن خلدون، مقدمه ابن خلدون التجارية الكبرى، مطبعة الأزهر، مصر 1348هـ/1952م، ج1، ص135.
- (2) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، توفي سنة 817هـ/1415م، القاموس المحيط، بيروت، دار الفكر، 1413هـ/1983م، ص. (3) المقرئزي: السلوك، ج1، ص339، وابن خلدون: العبر، ج5، ص806.
- (4) زكريا هاشم زكريا، فضل الحضارة الإسلامية على العالم، ص406.
- (5) ابن أصيبعة، مرجع سابق، ص38.
- (6) ابن أصيبعة مرجع سابق، ص31.
- (7) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، مؤسسة الرسالة ط2001م، ص468 (أخرجه النسائي والترمذي وصححه الألباني، عن المقداد بن معدي كرب).
- (8) حاجي باشا الأيدنلي ت 816هـ/1413م، فقيه نسبة إلى أيدين من معاصري السلطان بايزيد الأول تعلم في القاهرة وأتقن الطب إلى أن أصبح كبير أطباء مارستان مصر، من مؤلفاته (الشفاء) ، (لويس معلوف: المنجد في اللغة والأدب والأعلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط2، 1927م، ص100).
- (9) ابن أصيبعة، مرجع سابق، ص120.
- (10) -المقرئزي، أحمد بن علي، ت845هـ/1442م: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1،2، تحقيق مصطفى زيادة، القاهرة -1936 1958م، ج4، ص3، تحقيق سعيد عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1970/1973م، المصدر السابق، ج1، ص716، هامش6، والمواظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق- القاهرة 1270هـ/1853م. ج2، ص406، إبراهيم عبد الظاهر، تشريف، ص55، هامش5.
- (11) المقرئزي، أحمد بن علي، ت845هـ/1442م: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1،2، تحقيق مصطفى زيادة، القاهرة -1936 1958م، ج4، ص3، تحقيق سعيد عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1970/1973م، المصدر السابق، ج1، ص716، هامش6، والمواظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق- القاهرة 1270هـ/1853م. ج2، ص406، إبراهيم عبد الظاهر، تشريف، ص55، هامش5.

- (12) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم بن علي بن محمد، توفي سنة 807هـ/1402م: تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق- بدون تاريخ ومكان نشر، ج7، ص278.
- (13) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج3، ص395.
- (14) القلقشندي: مصدر سابق، ج3، ص366.
- (15) المصدر السابق ج4، ص38.
- (16) سنجر، بن عبد الله الشجاعى المنصورى الأمير علم الدين، كان من مماليك المنصور قلاوون، وترقى حتى ولي شاد الدواوين، ثم الوزارة بالديار المصرية، في أوائل حكم الناصر محمد، وساءت سيرته وكثر ظلمه، ثم ولي نيابة (دمشق) فتلف بأهلها وقتل شره، ودام بها سنين إلى أن عزله الأمير عز الدين أيبك الحموي، وقدم القاهرة، وكان موكبه يضاهي موكب السلطان من التحميل والأبهة، ومع ظلمه كان له ميل لأهل العلم، وتعظيم للإسلام، قتل سنة 693هـ/1294م، (ابن حبيب: تذكرة النبیه، ج1، ص301، ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة الأجزاء 1-12، تعليقات محمد رمزي بك دار الكتب المصرية - القاهرة 1929/1926م، والأجزاء 13-16 تحقيق، فهيم محمد شلتوت وآخرون - الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1970م، ج8، ص51-52).
- (17) المقرئزي: الخطط، ج2، ص406، والسلوك، ج2، ص998، وابن تغري بردي: مصدر سابق، ج3، ص321-322، وج8، ص51، وابن اياس: مصدر سابق، ج15، ص353.
- (18) الحجي، حياة ناصر (صور من الحضارة العربية والإسلامية في دولة المماليك، مطبعة دار القلم للنشر والتوزيع- الكويت، 1992م مرجع سابق، ص216.
- (19) ابن حبيب، بدر الدين الحسن بن عمر، توفي سنة 779هـ/1377م: تذكرة النبیه في أيام المنصور وبنیه، الجزء الأول تحقيق محمد محمد امين- القاهرة 1977م، ج1، ص306، وابن اياس: مصدر سابق، ج1، ص353.
- (20) ناظر الوقف: تقع عليه مسؤولية العمارة والتنمية والاستثمار، ولكن يجب ألا يكون ذلك على حساب طعام ونفقة اليتيم، حيث يكون الإستثمار من الفائض من المال، ويجب عدم التقتير على أساس زيادة العدد، ويجب الالتزام التام بشروط الواقف، (السبكي، تاج الدين ابي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، توفي سنة 771هـ/1370م: معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار، وأبو زيد شلبي، ومحمد أبو العينين،

- دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، القاهرة 1948م، ص 64-65).
- (21) ابن حبيب: المصدر السابق، ج 1، ص 361-362.
- (22) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام، ص 126-127، وابن حبيب: تذكرة النبیه، ج 1، ص 358-359-367، والمقرئزي: الخطط، ج 2، ص 406.
- (23) نشر وثيقة الوقف لأول مرة الدكتور عيسى، أحمد بك في كتابه: تاريخ البيمارستان في الإسلام، دمشق 1357هـ / 1939م، وقد طبع الكتاب طبعة ثانية، مصورة، 1401هـ / 1981م، ص 132).
- (24) المستنصرية: نسبة إلى المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله منصور، بن العزيز بالله بن المعز لدين الفاطمي؛ تولى الخلافة بمصر سنة 427هـ / 1036م، وكان عمره سبع سنوات؛ (أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت 682هـ / 1282م: وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، حققه حسان عباس، دار الكتب العلمية، بيروت 1969م، ج 5، ص 229-231، والمقرئزي: الخطط، ج 1، ص 355-356، وابن اياس: بدائع الزهور، ج 1، ص 215-220) ولزيد من التفصيل حول هذه البيمارستانات، وغيرها، (أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات، ص 142).
- (25) عيسى، أحمد: تاريخ البيمارستانات، ص 143.
- (26) وكان من أبرز تلك المدارس: المدرسة الدخوارية بدمشق، ومدرسة باتكين الطبية بالبصرة، والمهذبية بمصر، وغيرها، لمزيد من التفصيل عن هذه المدارس، ونظم التدريس بها، (المزيني، إبراهيم: المدارس الطبية المتخصصة في الحضارة الإسلامية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثالث عشر ذو القعدة / 1415هـ / 1978م، ص 349-411).
- (27) ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرازق بن أحمد الشيباني، ت 723هـ / 1323م: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تصحيح وتعليق / مصطفى جواد، بغداد: المكتبة العربية 1351هـ / 1932م، ص 59.
- (28) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص 65-66، والقلقشندي: مصدر سابق، ج 4، ص 37.
- (29) ابن الأخوة: مصدر سابق، ص 256.
- (30) الحجى، حياة ناصر: مرجع سابق، ص 221.
- (31) ابن الأخوة: مصدر سابق، ص 257.
- (32) المجبر: بضم الميم وتشديد الجيم طبيب العظام في ذلك الوقت.
- (33) ابن الأخوة: مصدر سابق، ص 258.

- (34) الجراحون: هم أطباء الجراحة في ذلك الوقت.
- (35) ابن الأخوة: مصدر سابق، ص 258-259.
- (36) الحجي، حياة ناصر: مرجع سابق، ص 222.
- (37) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام، ص 127، وابن حبيب: تذكرة النبیه، ج 1، ص 302-361 والمقریزی: الخطط، ج 2، ص 406، والسلوك، ج 1، ص 999
- (38) ابن حبيب: مصدر سابق، ج 1، ص 303، أبو العباس أحمد بن علي، توفي سنة 821 هـ / 1414 م، القلقشندي: صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، نسخة مصورة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة عن المطبعة الأميرية، بلا تاريخ، ج 5، ص 467، والمقریزی: المصدر السابق، ج 2، ص 406.
- (39) القلقشندي: مصدر سابق، ج 5، ص 467.
- (40) ابن حبيب: مصدر سابق، ج 1، ص 366، وعيسى، أحمد: تاريخ البیمارستان، ص 144.
- (41) المصدر السابق، ج 1، ص 365، والمرجع السابق، ص 144.
- (42) عيسى، أحمد: المرجع السابق، ص 143.
- (43) ابن حبيب: مصدر سابق، ج 1، ص 307، والمقریزی: الخطط، ج 2، ص 406.
- (44) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام، ص 228-230، والمقریزی: المصدر السابق، ج 2، ص 406.
- (45) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص 228-229.
- (46) السخاوي، الضوء، ج 8، ص 190.
- (47) السخاوي: الضوء اللامع ج 10، ص 128، الزركلي، الأعلام ج 5، ص 58)، والسيوطي، حسن المحاضرة، ص 182.
- (48) 43- 48 تم اختيار النصوص من طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب 1988 م - تحقيق سلمان قطاية.
- (49) كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين- منشورات المكتبة العربية، دمشق 1957 م، ج 13، ص 211، الزركلي، الأعلام ج 9، ص 209، ابن أبي أصيبعة عيون الأنباء، ج 2، ص 185.
- (50) الزركلي، الأعلام ج 6، ص 189، كحالة معجم المؤلفين ج 8، ص 200، ابن إياس ج 1، ص 523، حاجي خليفة، كشف الظنون ج 1، ص 66.
- (51) الزركلي، الأعلام ج 6، ص 189، كحالة معجم المؤلفين ج 8، ص 200، ابن

- إياس ج1، ص523، حاجي خليفة، كشف الظنون ج1، ص66.
- (52) محمد بن إبراهيم المصري بن ساعد الأنصاري، شمس الدين أبوعبد الله السنجاري، طبيب، وعالم جواهر، ولد في سنجان بالعراق. كان أبوه يمتهن حرفة صناعة الأكفان فعرف بابن الأكفاني، طلب العلم فوق في عدة فنون وأتقن الرياضيات والحكمة، فكان إماماً في الفلك والهندسة والحساب. كما كان من أفضل علماء عصره وأعلمهم بدراسة العقاقير الطبية وأنجحهم في مداواة الناس، (الزركلي، الأعلام، ج6، ص189، وابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ص523). وسنجان: بلدة في الجزيرة الفراتية على الحدود السورية العراقية (موسى الهسنياني، سنجان، دراسة في تاريخها السياسي والحضاري، 1126-1261م العراق اربيل 2005م، ص191).
- (53) أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات ص165، ومعجم الأطباء ص182-183، كحالة، معجم المؤلفين ج4، ص174، الزركلي، الأعلام ج2، ص307، حاجي خليفة، كشف الظنون ص1716، 1116.
- (54) كحالة، معجم المؤلفين ج9، ص106، الزركلي، الأعلام ج6، ص56، بروكلمان الملحق ج2، ص162.
- (55) الزركلي، الأعلام ج2، ص335، كحالة، معجم المؤلفين ج4، ص143، حاجي خليفة، كشف الظنون ص1985، بروكلمان الملحق ج2، ص219.
- (56) كحالة، معجم المؤلفين ج5، ص18، بروكلمان الملحق ج2، ص137.
- (57) السخاوي، الضوء اللامع في أخبار القرن التاسع، وهو أضخم كتاب في تراجم قرن بعينه. وتقع مطبوعته في (12) جزءاً، في (6) مجلدات ضخمة، ترجم فيه السخاوي لكل من اتصل به من أهل القرن التاسع.
- (58) المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ج2، ص464.
- (59) عيسى، أحمد: مرجع سابق، ص264
- (60) الزركلي: الأعلام، ج4، ص71، والسخاوي: الضوء اللامع ج4، ص65، وابن العماد: شذرات الذهب، ج8، ص51، والسيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص188 - 195.
- (61) حاجي خليفة، كشف الظنون، ص836.
- (62) كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص184، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص50.

- (63) مخطوطته في لوس أنجلس برقم 4، ص 21.
- (64) السخاوي، الضوء اللامع، ج 10، ص 128، كحالة، المرجع السابق، ج 12، ص 145، الزركلي، الأعلام، ج 7، ص 163.
- (65) السخاوي، الضوء اللامع، ج 9، ص 35، الزركلي، الأعلام، ج 7، ص 282، كحالة، مرجع سابق، ج 11، ص 188.
- (66) نسبت الرسالة الشهابية للمارديني، كماورد في دراسة للدكتور ياسرزكور في المؤتمر 28 لتاريخ العلوم عند العرب بحلب عام 2007